

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :

لقد اقتضت حكمة المولى ﷺ ألا يكلم الناس إلا من خلال واسطة بينه وبينهم، وهم رسله الذين بعثهم لهداية الناس إلى الطريق الصحيح لعبادته سبحانه، حتى تستقيم لهم حياتهم، وتعتدل أمورهم. ولذا لم تخلوا أمة من نذير فقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۖ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ) (النحل: ٣٦). وقال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) (فاطر: ٢٤) .

والأنبياء اتفقوا في الدعوة للتوحيد، ولكن تباينت شرائعهم فهم أخوة لعلات أبوهم واحد وأمهاهم شتى. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الأنبياء إخوة لعلات أمهاهم شتى ودينهم واحد..) الحديث^(١) إلا إن أكملهم ديناً، وأتمهم شريعة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام فعن جابر بن عبد الله ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا ، فَأَكْمَلَهَا وَأَتَمَمَهَا ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا ، وَيَقُولُونَ : لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ ، حَيْثُ حَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ " .^(٢)

فالله تعالى أرسل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وخصه بذلك فقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧). فهدى الله اتباعه إلى الحق الذي كان الناس مختلفين فيه. وأخرج من تبعه من ظلمات الجهل والشرك والتخلف، إلى نور الهداية، وطمأنينة اليقين، وبصيرة العلم، وصفاء النفس. فقال تعالى : (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (آل عمران: ٦٤) وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة: ٢).

فالناس في ضلال وشقاء قبله، وسيظلون كذلك إن هم خالفوا أمره، وأعرضوا عن منهجه، واستبدلوا سنته بمنهج

(١) مسند أحمد

(٢) صحيح البخاري

غيره. قال تعالى: (فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٦)) (الليل: ١٤-١٦).

ولما كان لبنينا عليه الصلاة والسلام هذه المكانة العظيم، وكان الإيمان به ومحبته واتباعه ركن من أركان الإيمان، كان لابد من دراسة سيرته عليه الصلاة وأتم التسليم، حتى تترسخ محبته في النفس، ويطمأن القلب لاتباعه واقتفاء أثره، وترتقي النفس بالتسليم لحكمه، وتسعى الجوارح لنيل شرف شفاعته.

ولذا سوف نتناول في هذه الوحدة ما يلي:

١. تعريف السيرة النبوية.

٢. بيان أهمية دراستها.

٣. بيان مصادر دراسة السيرة .

أولاً: تعريف السيرة النبوية:

السيرة لغة:

(السين، والياء، والراء) أصل يدل على مضي وجريان. السير هو الذهاب. وقوله عليه الصلاة والسلام: (نصرت بالربح مسيرة شهر) أي: المسافة التي يسار فيها من الأرض . والسيارة: القوم يسرون. وسار المثل في الناس: شارع.

فالسيرة في اللغة تشمل ما يلي:

١. السنة: لأنها تسير وتجري.

٢. الطريقة في الشيء. يقال: سار بهم سيرة حسنة.

٣. الهيئة: قال تعالى: (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) (طه: ٢١) (١)

السيرة في الاصطلاح:

تعريف السيرة في الاصطلاح: ما نقل إلينا من حياة النبي ﷺ منذ ولادته وحياته قبل البعثه وما بعدها ومارافقها من أحداث ووقائع حتى التحاقه بالرفيق الأعلى.

(١) مقاييس اللغة / ابن فارس (٣/١٢٠)، ولسان العرب / ابن منظور : مادة سير.

فالسيرة تشمل : وقائع ميلاده ونسبه، ومكانة عشيرته، وطفولته وشبابه، ووقائع بعثته، ونزول الوحي عليه، وأخلاقه، وطريقة حياته، ومعجزاته، ومراحل الدعوة المكية والمدنية، وجهاده، وسلمه، وأحداث حياته حتى التحاقه بالملأ الأعلى.

أهمية دراسة السيرة النبوية:

١. إن السيرة النبوية مصدر من مصادر التشريع، ومن خلالها يتضح المنهج العملي لتطبيق الشريعة الإسلامية، وتتجلى مقاصد الدين في أوضح معانيه. فهي أول مصدر من مصادر تفسير القرآن الكريم ودراسة علومه^(١)، وأصل من أصول بناء العلم والمعرفة الصحيحة.

٢. إن السيرة هي البداية والمرحلة الأولى من مراحل بناء الأمة الإسلامية، فهي أهم حقبة تاريخية بالنسبة للمسلمين، ومنها قامت الحضارة الإسلامية، وانتشر نورها، وبالعودة لمعناها تعود الأمة لدورها القيادي.

٣. إنها تكشف لنا عن خصائص بناء المجتمع المسلم، وتبين السنن والقوانين الاجتماعية التي تحكم حركة التاريخ الإسلامي.

٤. إنها تبين تاريخ التشريع الذي يحتكم إليه المجتمع، وتوضح الضوابط الخلقية والقانونية التي تحكم حركة الأفراد والجماعات؛ ففي سيرة الرسول ﷺ تتشابه العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية بالعقيدة والشريعة تشابكا وثيقا بحيث يصعب فهم حركة التاريخ الإسلامي في تلك المرحلة دون فهم روح الإسلام ومبادئه.

٥. إنها تبين أهمية العقيدة الصحيحة في بناء الشخصية، ففي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، حديث عن صحابته الذين كان لهم دور عظيم في سيرته، أدى ذلك الدور لدفع عجلة التاريخ. ولم يكن ذلك الدور الهائل مجرد تمتعهم بسمات شخصية معينة، بل لقوة إيمانهم، وحبهم واتباعهم لسيرته عليه الصلاة والسلام، إذ لم تبرز لهم أدوار تاريخ تذكر إلا بعد مبعثه عليه الصلاة والسلام. حتى في سيرة المصطفى ﷺ نجد العقيدة وقوة الإيمان بالله تعالى سبب نجاته ﷺ وتفوق رسالته. وهذا ما سوف يمنع من تمجيد الفردية، والإغراق في نزعة الاستعلاء والغرور. تلك النزعة التي تسامى عنها المسلم الدراسات للسيرة النبوية، المحب لها المتبع لآثارها^(٢).

فوائد دراسة السيرة:

١. تعميق الإيمان بأنه رسول من الله تعالى يوحي إليه، وزيادة اليقين بضرورة محبته واتباعه.

(١) فمن ذلك علم "أسباب النزول" و علم "المكي والمدني".

(٢) السيرة النبوية / د. أكرم ضياء العمري (١/١٦-١٨). ملخصا.

٢. أن يجد المسلم في شؤونه كلها صورة المثل الأعلى الذي يجب أن يسير عليه في حياته.
٣. تثبيت المؤمنين على الحق الذي هم عليه، لاسيما عند الفتن وتغير أحوال الناس.
٤. بناء الثقافة الإسلامية الصحيحة لدى المسلم سواء ما تتعلق بالأحكام أو العقائد أو الأخلاق والسلوك وسائر العلوم الإسلامية.
٥. تعميق الشعور بروح الانتماء للأمة الإسلامية، والاعتزاز بتاريخها العظيم.
٦. إنها المنهج التربوي والسلوكي العظيم، الذي يوجه المعلمين والتربويين إلى أسس وقواعد التربية الصحيحة وآلياتها المختلفة^(١).
٧. أن يتعرف المسلم على النموذج الصحيح، والمعياري الذي من خلال يقيس به وسطية الأمور من انحرافها، ويقيم به مناهج الناس، ويصحح من خلالها مسالكهم.
٨. تأصيل منهج بناء الأمة، وتصحيح مسارها، بعيدا عن الغلو والتطرف الحزبي.

مصادر دراسة السيرة^(٢):

- ١ - مصادر أصلية وموثوقة وهي:
- أ - القرآن الكريم: وهو رأس المصادر وأساسها، وحديثه عن السيرة كثير^(٣)، وعرضه منوع. ويلحق به كتب التفسير وعلوم القرآن المتعلقة بالسيرة مثل أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ.
- مميزات النص القرآني وخصائصه في عرض السيرة:

 ١. الصدق من جهة النقل والثبوت. ومن جهة الوصف للواقعة التاريخية.
 ٢. عرض المشاعر والخواطر وما يجول في النفوس حتى يجعلها مكشوفة كأنها رأي العين. كقوله تعالى: (عبسى وتولى) (عبس: ١) ، وقوله تعالى: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه).
 ٣. بيان العواقب والمآلات للوقائع^(٤) وذلك لأنه صادر من العليم الخبير، والسميع البصير، والحكيم

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية/ د. مهدي رزق الله / ١٤_١٥، فقه السيرة النبوية/ د. محمد البوطي / ١٧-١٨.

(٢) مسائل في منهج دراسة السيرة/ د. محمد السلمي.

(٣) كتب محمد عزة دروزة: سيرة الرسول ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم، في مجلدين نشر مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٣٨٤ هـ ، وكان قد أصدر كتابًا آخر عن: عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة. واعتمد فيه على الآيات القرآنية، ونشر بدمشق سنة ١٣٦٦، كما أعد الباحث د. محمد بن بكر آل عابد، رسالتى الماجستير والدكتوراه بالجامعة الإسلامية بعنوان: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ ، في مجلدين، نشر دار الغرب الإسلامي.

(٤) انظر فصلاً ممتعاً حول هذا المعنى في ظلال القرآن، لسيد قطب ١/٤٦٧-٥٣٣.

القدير، الذي أحاط بكل شيء علمًا.

٤. يصف الصورة الظاهرة للحدث كما يصف الصورة الباطنة له، ويوضح أثره في المشاعر والنفوس كما يكشف الخواطر والأمنيات، حيث يستوي في علمه عزوجل عالم الغيب والشهادة.
٥. منهجه في عرض الأحداث والوقائع يتميز بالشمول في تحليل الحدث ومعالجته، ويلاحظ الأهداف والغايات، ويركز على الآثار والنتائج، وينتزع الصورة الموحية من الحدث ثم يبرزها، غير ملتزم بتسلسل الحدث في سياقه التاريخي؛ لأن القرآن الكريم كتاب هداية وتربية وأحكام، لا كتاب تاريخ، فهو يهتم بالقيم والأخلاق.

- ب - كتب الحديث التي روت بالأسانيد من أحداث السيرة وأخبارها:

فقد عنيت كتب الحديث بجمع أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية عليه الصلاة والسلام، وتناولوا بعض من مغازيه وسراياه وبعوثه ومكاتباته وفضائل زوجاته وأصحابه وآل بيته. كما أفرد بعضهم كتبًا خاصة بشمائله.

وتتميز بعض مصنفات المحدثين بخضوعها للنقد والتمحيص من علماء الجرح والتعديل، ونصوا على صحيح الأخبار وحسنها، وميزوها عن ضعيفها وموضوعها، كما نصوا على الرواة الثقات العدول، والرواة الضعفاء والمجهولين والكذابين مما سهل على الباحثين القدرة على النقد ومعرفة الصحيح من غيره.

- ج - ما جمعه علماء السير والمغازي، من أمثال عروة بن الزبير (ت ٩٣ هـ) ومحمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ هـ) وموسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ) وابن إسحاق (ت ١٥١ هـ).

- د - كتب دلائل النبوة والمعجزات: دلائل النبوة لأحمد بن الحسين البيهقي، الخصائص الكبرى للسيوطي، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني.

- هـ - ما دون في المصادر التاريخية العامة من الحوادث والتراجم، وهذا النوع يحتاج إلى نقد وتمييز لمعرفة الصحيح من غيره قبل أن نأخذ الدرس التربوي والعبرة من الحدث، وقبل الاستدلال به على الحكم الشرعي.

- ومن ذلك تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري، تاريخ خليفة بن خياط (٢٤٩ هـ). ومنها ما ألف في تاريخ الحرمين مثل كتاب تاريخ مكة للأزرقي (٢٥٠ هـ)، الدر الثمينة في أخبار المدينة لابن النجار البغدادي، وكتاب تاريخ مكة للفاكهي (٢٨٠ هـ).

٢- المؤلفات بعد عصر الرواية والإسناد:

- من بداية القرن الخامس الهجري تقريبًا توقفت الرواية والتحديث في السنة والسيرة النبوية بالإسناد حيث صارت المؤلفات تغفل الإسناد، ويرجع المصنفون إلى الكتب والمؤلفات بدلاً من التلقي المباشر من الرواة والشيوخ. وهذا النوع من المصادر ينظر إليه بحسب اتجاهات مصنفيه الفكرية والعقدية، وكذا بحسب مناهجهم في التصنيف، من حيث اشتراط الصحة فيما يذكرون أو عدم اشتراطها، وهؤلاء تسبر طريقتهم

بواسطة المقارنة والنقد الباطني للنصوص، أما إذا أسندوا فينقد الإسناد حتى يميز الصحيح من غيره.

- المصادر في هذا القسم أنواع:

- منها: مصادر كتبها علماء ثقات من أهل السنة والجماعة وعلى طريقة السلف في الاعتقاد، ومنهج التلقي والاستدلال، من أمثال: ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، والنووي (ت ٦٧٦هـ)، وابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) والذهبي (ت ٧٤٢هـ)، وابن القيم (ت ٧٥١هـ)، وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وابن حجر (ت ٨٥٢هـ) وابن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦هـ) فهذه مصادر يعتمد عليها ويهتم بدراستها مع ملاحظة اجتناب ما قد يقع فيه بعضهم من خطأ إذ لا عصمة لأحد من الخطأ، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ.

- ونوع من المصادر كتبها علماء يغلب عليهم أو تنزعهم اتجاهات ونزعات فكرية مخالفة لطريقة السلف الصالح أهل السنة والجماعة، (اتجاه معتزلي، أو شيعي، أو صوفي ...) إلخ، وتلك المصنفات لا تخلو من التأويل الفاسد، أو الأخبار الضعيفة، أو المكذوبة، وكذا الحكايات، والمنامات، والرؤى وادعاء حالات وصور وأخبار عن السيرة النبوية يكون مؤداها ومآلها إخراج شخصية الرسول ﷺ وسيرته عن مجال الاقتداء والتأسي به، حيث تضيئ تلك الأخبار المزعومة، والحكايات والمنامات، على السيرة النبوية وصاحبها عليه الصلاة والسلام هالة من المبالغة والتبجيل الكاذب مما يخرجها عن قدرة البشر وطاقتهم فلا يستطيعون التأسي والاقتداء به ﷺ عملياً، مما يجعل حظهم منه ﷺ مجرد إعجاب، وانبهار ومثالية، وإشباع روحي، غير قابل للمتابعة والتطبيق الواقعي. وأكثر ما يبرز هذا في الفكر الشيعي، والفكر الصوفي .
ولذا فإنه ينبغي تجنب تلك المصادر والمراجع خاصة من قبل الدارسين المبتدئين، أو الباحثين غير المتخصصين.

٣- الدراسات المعاصرة عن السيرة النبوية:

الدراسات عن السيرة النبوية في هذا العصر كثيرة، وعلى مستويات مختلفة. ويغلب على كثير منها استخدام أسلوب التحليل للنصوص، وهو أسلوب ناجح ومفيد في دراسة السيرة النبوية إذا كان المؤلف أو الباحث يملك المرجعية الشرعية، فيفهم حقيقة الإسلام ومنهجه الكامل، وفقه اللغة التي نزل بها القرآن، مع الاعتقاد بأنه الدين الحق والمنهج الخالد الذي لا يقبل الله من أحد سواه، ولا يصلح لهذا العالم غيره، وأن له الحاكمية والهيمنة على الأديان كلها، وهو شامل في أحكامه لكافة مناحي الحياة وأنشطتها السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية.

ويمكن تفسير الدراسات الحديثة في السيرة النبوية إلى صنفين:

الصنف الأول: وهم من تنقصه المعرفة الشرعية؛ فالغالب أن هؤلاء لا تكون نتائج دراساتهم صحيحة وإن أتقنوا

طرائق المنهجية المعاصرة ، مثل أسلوب التحليل النفسي، والتحليل الاجتماعي، وبيان أثر البيئة؛ لأن شخصية النبي ﷺ وتصرفاته ليست نابعة من هذه المنابع، إنما هو عليه الصلاة والسلام مرسل من الله، ويبلغ ما أوحى إليه، ولذا فإنه لا بد في دراسة السيرة النبوية من ملاحظة أثر الوحي والنبوة في تصرفاته ﷺ المتعلقة بالتعبد وإبلاغ الوحي، ولا بد أيضاً من فهم مقاصد الشريعة وغاياتها حتى يكون تفسير أحداث السيرة وتحليلها وفقاً لنصوص الوحي ومقاصد الشريعة.

ولهذا لا نستغرب أن نجد في الدراسات المعاصرة عن السيرة النبوية أثر الاتجاهات الفكرية السائدة، فالقوميون العرب يفسرون حوادث السيرة حسب الفكر القومي عن الرسول ﷺ، إذ هو في نظرهم زعيم قومي وحد العرب لأول مرة في التاريخ تحت لواء دولة واحدة جامعة ومستقلة. والاشتراكيون يفسرون حوادث السيرة تفسيراً يخدم منهجهم وفكرهم، والشيوعيون يفسرون الغزوات النبوية تفسيراً اقتصادياً حسب نظرهم للتاريخ البشري وأن الصراع فيه هو على المواد الاقتصادية ولأجلها، وكذا العلمانيون يفرقون بين شخصية النبي ﷺ القائد والحاكم وبين شخصيته كني وزعيم ديني، ففي الأول يتصرف بكونه حاكماً من غير النظر إلى النبوة والدين لأنهم يفصلون بين الدين والحياة.

وهكذا تسير كل فرقة في دراستها عن السيرة النبوية حسب منهجها الفكري، ولذا فإن على الباحث والقارئ المسلم الحذر من مثل هذه المؤلفات، ومعرفة اتجاهات الباحثين والكتاب حتى لا ينخدع بإحسان بعضهم لطرائق التحليل المنهجي للنصوص، والذي يستخدم وسيلة لتسوية الفكر المنحرف وتسويقه.

الصنف الثاني: البحوث التي جمعت بين أسلوب التحليل للنصوص، وأسلوب القدامى من العلماء في حشد النصوص وتصحيحها والاستدلال بها، مع امتلاك القدرة العلمية والمرجعية الشرعية التي تلاحظ أثر النبوة والوحي، وتدرك مقاصد الشريعة وخلودها ونفردتها بالمنهج المصلح للحياة البشرية وأنه لا منهج غيره يصلح لإنقاذ البشرية وإيصالها إلى نيل رضى الله والفوز بجناته.

وممثل هذا الصنف البحوث التي أنجزت في الجامعات الإسلامية داخل المملكة وخارجها، والتي استوفت دراسة المغازي والسرايا النبوية دراسة توثيقية ونقدية للنصوص والروايات، مع الدراسة التحليلية لاستنباط الدروس والأحكام والعبر التربوية.

واجب:

- اذكري أبرز خمس مواقع الكترونية تتعلق بسيرة المصطفى ﷺ وبيان محتواها ورابطها وصورة للموقع مع تسجيل ملاحظاتك حول الموقع.